المرأة الحداقة

من حق كل إنسان أعطاه الله عينين تبصران أن يستخدمهما فى النظر إلى نفسه وإلى ما حوله من نبات وبشر وجماد ..وأن يميز بها الألوان الأبيض والأحمر والأزرق والأسود ..وأن يهتدى بها إلى الطريق ويضع له بعض العلامات ..وهكذا يستخدم المرء حاسة البصر ليبصر بها ما حوله ..ويتجنب الحوادث أو الاصطدام بالأشياء فلا يصاب بمكروه ..ويعرف الإنسان كذلك إلى أين تتجه أقدامه؟ ..ومن أين يشترى؟ ..وأين يبيع؟ ..وكيف يقيم اتصالاته ومعاملاته مع بنى جنسه.

ولا شك أن الضريرة أو من حرمت نعمة البصر لهى فى حالة ابتلاء ومحنة شديدتين، وإن صبرت على فقد تلك النعمة ونجحت فى هذا الامتحان لم يكن لها ثواب إلا رضاء الله عليها فى الدنيا والآخرة، ودخولها الجنة، ليرتد إليها بصرها وتنعم برؤية الأطهار والأبرار والملائكة والأنبياء والصالحين ..وتعوض عن ذلك الحرمان، رغم أن الله قد عافاها فى الدنيا من رؤية الأشرار والمجرمين والكذبة والفسقة وأصحاب النميمة والسوء ..واكتفت فقط بسماع أخبارهم دون أن تتأذى عينيها بمشاهدتهم.

ولكن كما قالوا لكل حاسة وظيفة ومهمة معينة فإن استخدمها المرء فى طاعة الله كانت سببًا فى دخوله الجنة وإن استخدمها فى معصية الله كانت سببا فى دخوله النار ..فإن نظر المرء إلى المرضى فحمد الله على الصحة وشكره على نعمته وحافظ على صحته من الإصابة بالأمراض، سعد وكان من الشاكرين ..وإن نظر إلى الأصحاء وشعر أن ما به من داء لم يصب به بعض الناس فندم وأسف كان من الكافرين لنعم الله عليه.

المرأة الحداقة هى امرأة تستخدم عينيها لتحدق بها فى كل شىء حولها أو يمر أمامها أو تراه خلفها ..ليس لتأخذ منه عبرة تنفعها أو موعظة تستفيد منها، ولكن من أجل أن تستأثر هى بأفضل الأشياء، وليكون من حولها من

النساء نسوة غير محظيات ..فهى تقف طويلاً أمام المعارض ومحلات القماش والفساتين الجاهزة، لتختار أفضلها سواء أكانت معها نقود أو لم تكن ..سواء أكانت محتاجة لهذا الشيء أم غير محتاجة له.

هى لا تحمد الله على عطاياه، بل تأسف على ما حرمت منه ..هى إن زارت صديقتها أطلقت لبصرها العنان فى أن يجول ويصول بطول البيت وعرضه، وسقفه وأرضه، لتفتش عن الأثاث وثمنه، والمحل المشترى منه، ونوعية الستائر وثمنها، ونوع السجاد والبساط المفروش فى أرضية المنزل ..وما نوع طلاء الحوائط؟ ..وما لون فستان صاحبة المنزل الذى دخلت به.

إنها تشبه رجل العسس الذى يلتفت يمنة ويسرة ..إلى أعلى وأسفل ..إلى الشمال والجنوب، ليراقب كل شيء ساكن ومتحرك ..صغير وكبير ..طيب المنظر أو كريه ..ليرصد أى حركة غير عادية تنبعث من أى واحد منها..

المرأة الحداقة تتأثر بما ترى، وتحب أن تجمع أو تملك أجمل وأفضل وأرق الأشياء التى تحوزها بعض صويحباتها أو أختها أو بعض الأقارب والمعارف..

هل تريد ثريات مثل فلانة وغرفة نوم مثل فلانة ..وسجاد مثل هذه، وزوجًا مثل تلك ..وهكذا هى دومًا غارقة فى التجديف والتحليق فى أى أرض تطؤها قدمها وتحت أى سماء تظلها ..هى شاردة الفكر، دائمة التحدث عما فى أيدى الناس ..تؤمن بما يملكون وتكفر بما ذلك!! ..وإذا قيل لها احمدى الله على ما أتاك، غضبت وقالت: ما عندى شيء!! ..انظروا لقد أعطى فلانة عريسًا صفته كذا وكذا ..وأعطى فلانة أبناء ذكورًا فقط ..وأعطى فلانة إناثًا فقط ..وأعطى فلانة ذكورًا وإناثًا، ولم يعطنى أنا شيئًا ..فلانة شقتها أربع غرف ..وفلانة تسكن فى دارة ..وفلانة سيارتها جديدة.

هى أيضًا كثيرة الانتقاد لأى شيء يقع نظرها عليه، وليتها يشد انتباهها المظاهر الإيجابية والميزات الجميلة لأى شيء بقدر ما يجذبها رؤية السلبيات ومظاهر التشوه والقصور..!!

هى تفسد كل متعة أو جلسة طالما لم تكن هى بطلتها ..إن قال زوجـها: إن طعام العشاء كان فاخرًا، وإن ربة هذا البيت قد أحسـنت فيما صنعت، وهى طاهية ماهرة، اشتاطت غيظًا وذكرت من العيوب ما لم يلاحظه زوجها، وذلك من قبيل الزور والبهتان!!

وهكذا هى تشوه كل جميل تصنعه غيرها، وتجمل كل قبيح تصنعه هى ..فإن شكا زوجها قصورًا أو عيبًا فى شىء تفعله بكت وصرخت حتى يعتذر ويعلن نقيض رأيه دون أن تصنع هى شيئًا جديدًا ليمتدحه عن اقتناع ..وثمرة معاشرة تلك المرأة تولد فى نفس الزوج حيرة وقلقًا ليس له نهاية ..وربما دفعته بوعى أو بدون وعى، ليحقق لها طموحاتها وما أكثرها عند تحديقها فى الأشياء ..فيقبل اليوم ما كان يرفضه بالأمس، ويصاحب فى الغد من كان يعتبرهم أشرار اليوم!! وقد يشارك فى ارتكاب بعض الرذائل والجرائم، كسرقة، أو رشوة، أو تزوير، حتى القتل، كى يكتسب من جراء ذلك مالاً يستطيع به أن يشترى رضاء امرأته حتى ولو كان فى إرضائها سخط الله!!

إن العيون المحدقة فيمن حولها، وخصوصًا لمن يفوقها قدرة ومكانة مادية أو معنوية، حتمًا ستجلب لأصحابها الشعور بالنقص والغيرة والضالة ..ويا له من ظن خاطئ سيئ ..فقيمة المرء لا تقدر بما يملك من أموال أو ثروة، بل ما يملك من أفكار نبيلة وقيم ومبادئ فاضلة وقناعة بما يقدمه للناس، كل الناس من عون ومساندة وخير ومعروف ..بما يمتلك من حكمة وبصيرة وتأمل فى الحياة ومواقفها الحرجة، فيعظ لنفسه وغيره بما ينبغى عمله فيسعد فى دنياه وأخراه.

وياله من شقاء عظيم أن تكون زوجة المرء محدقة ..أن يحقق لها ما تطمع إليه فى زمن ظهر فيه الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس بتحايل على شرع الله حتى يتحقق لها ما تريد ..فيحلل الحرام ..فيقبل الرشوة، ويقنع نفسه أنها هدية ..انفتح الباب لتحقيق مطالب زوجته..

وهكذا يخطوا رب الأسرة أولى خطواته فى طريق الانحراف بعد أن ودع الفضيلة المسافرة فى قطار العفاف وتمنى ألا تعود..

إن المال الحرام، والمنزل الحرام، والطعام الحرام، ليس فيهم بركة ولا خير وإن كان منظرهم يوحى بالجمال والسعادة، والنعيم، ويسر الناظرين بعين البصر ..أما الذين يملكون عين البصيرة يرون القبح والهلاك والفساد والجحيم والشيطان ينصب خيمته ويقيم مسكنه حيث يقيم هؤلاء ..فهل هناك من خير يرجى حيث تصب لعنات الله ونقماته؟ ..هيهات هيهات..

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[1].

إن من نعم الله التى لا تحصى علم الله الكامل وإحاطته بما ينفع الناس ..وبما يضرهم، فينزل رزقه بقدر وقد يعجل العطاء أو يؤجل المنح وفقًا لقدرات البشر وظروفهم الاجتماعية والنفسية ..وما يصلح فى الأمس قد لا يفيد فى الغد ..وما كنا نتمناه اللحظة نرى عظم خطره بعد ساعات من كشف النقاب عنه فنحمد الله على عدم استجابته لنا وقت الدعاء ..وكى يظل المرء فى بحبوحة من الشكر لله والتقرب إلى الله بالحمد والثناء، عليه أن يستخدم عينيه فى النظر لمن هم دونه عطاءً ومعيشةً وفكرًا وقدرًة ..فيحمد الله على ذلك ..ولا ينظر لمن هو فوقه حتى لا يكون من الكافرين ..وثواب الشاكرين المزيد من العطاء ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2].

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: "**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**) ..ومما يروى عن المسيح عليه السلام قوله (لا تذرفوا الدمع القليل على من فقد بصره واذرفوا الدمع الكثير على من فقد بصيرته). لذا فليحذر الرجال النساء المحدقات؛ لأنهن يكفرن دومًا بما فى أيديهن ويؤمن دومًا بما فى أيدى غيرهن!!

---

[1] سورة طه آية ١٣١،١٣٢.

[2] إبراهيم / ٧